Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 41:3 (2006)

الخطاب التربوي في التعليم الجامعي للمعارف الإسلامية

محمود الخالدي

الحمد لله تعالى الذي علّم بالقلم وعلّم الإنسان ما لم يعلم، وجعل التربية بالتعلم من مقدمات بناء الشخصية الإسلامية بقوله عز من قائل: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ** ﴾(١)، وبعد ذلك مايز الحق تبارك وتعالى بين الناس بدرجات من التعلم: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِيْ الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لاَ يَعْلَمُوْنَ** ﴾(٢). والصلاة والسلام على معلّم الناس الخير والنهضة والرفعة والقيم أبي القاسم محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم وسار على هديهم إلى يوم يبعثون، وبعد:

فإن الله تعالى كرّم الإنسان بالعقل، وبه فضّله على سائر المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوْا الْأَلْبَابِ** ﴾(٣) وجاءت العقيدة الإسلامية أساساً للتفكير الهادف المثمر الصاعد الناهض حين نعى القرآن على من سبقوا الإسلام، ووصف عهدهم بالجاهلية: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُوْنَ** ﴾(٤) مما يشير إلى المكانة الرفيعة للعلم والتعلم، وقد حرص الإسلام على التأكيد بأن يتولى ولي الأمر رعاية شؤون الرعية بالتثقيف، وتبني أفكار تصوغ سياسة التعليم، في جميع مراحل التعلّم من محو الأمية حتى الدكتوراه. فكانت العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي يقوم عليه منهاج التعليم، الذي تُبنى عليه المعلومات المراد تعلمها بشموله أمرين:

الأول: مواد ومقررات ومساقات الدراسة.

والثاني: طرق التدريس ووسائل التعليم والتعلم.

١- سورة العلق، الآية: ١.

٢- سورة الزمر، الآية: ٩.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٤- سورة المائدة، الآية: ٥٠.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

لذلك فإنه حين كُسفت الشمس يوم وفاة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته"(٥). فجعل العقيدة الإسلامية هي الأساس للمعلومات العلمية عن الكسوف والخسوف وجميع مظاهر هذا الكون.

إلا أن جعل العقيدة أساساً لمنهج التعليم لا يعني أن تكون كل معرفة منبثقة عن العقيدة الإسلامية، لأن ذلك لم يطلبه الشرع، وهو أيضاً يخالف الواقع، فيتحدد المقصود من جعل العقيدة أساساً لمناهج التعليم، وهو أن تتخذ العقيدة الإسلامية مقياساً، فما ناقضها يحرم أخذه، وما لم يناقضها جاز أخذه.

وفي هذا يقول المفكر التربوي المعاصر الدكتور إسحاق الفرحان: إن الفرضيات التي بنينا عليها تصورنا لبناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة متعددة أهمها(٦):

أولاً: شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة، فالتربية الإسلامية شاملة وليست مرادفة للتربية الدينية كما عند الغرب.

ثانياً: تأصيل الفكر التربوي المعاصر من الزاوية الإسلامية بالانطلاق من الكتاب والسنة.

ثالثاً: الاستفادة من التراث الفكري التربوي الإسلامي، وتحليله تحليلاً ناقداً، ليُستفاد منه لحياتنا المعاصرة.

رابعاً: مخاطبة مشكلات العصر التربوية من منظور إسلامي.

خامساً: الإيمان بأن النظرية التربوية تمثل اجتهاد العلماء وتفسيرهم، وهي متطورة حسب الزمان والمكان وحسب الخبرة، مع عدم إغفال التفاعل مع التجربة الإنسانية، والحفاظ على ثوابت منظومة القيم الإسلامية المنبثقة من الكتاب والسنة.

وذلك لأن العقائد هي التي تصنع المثل العليا التي تهيمن على سلوك النفس البشرية، بنقلها من الميوعة إلى الثبات والصلابة، فالسياسة التربوية التي رسمها أمير الأنبياء لا تزال وحدها القديرة على إعادة البناء المتصدع، وإنقاذ أمّة كبيرة من مهاوي الفناء والهزيمة(٧).

٥- حديث صحيح: رواه الشيخان ـ **صحيح البخاري**: كتاب ١٦، باب الدعاء، حديث رقم ١٠٤٣، دار ابن حزم للنشر، بيروت، و**صحيح مسلم**: كتاب ١٠، باب ١٥، حديث رقم ٩١٥، و**مسند** الإمام أحمد بن حنبل: جزء ٣، ص ٣١٧، وجزء ٤، ص ٢٤٩، وجزء ٥، ص ٤٢٨.

٦- في كلمته التي ألقاها في "مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة" ص ١٤ من كتاب **المؤتمر**، تحرير فتحي ملكاوي، عمان، ط ١، سنة ١٩٩٠م.

٧- المرحوم الشيخ محمد الغزالي، كتاب: **مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة**، ص ٤٦.

لذلك جاءت الأحاديث النبويّة تحثّ على العلم والتعلم منها حديثه صلى الله عليه وسلم: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"(٨) وهذا خطاب عام يشمل ما وافق العقيدة وما خالفها. كما ورد في القرآن الكريم ذكر لأفكار وعقائد تناقض الإسلام مثل: ﴿**وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ الدَّهْرُ**﴾(٩) مما يدل على جواز تعلّم الأفكار التي تناقض العقيدة الإسلامية. وعليه فإن الانفتاح على تعلم المعارف من غير أخذ لها ولا اعتقاد بها أمر مطلوب تربوياً. ولكن الممنوع هو تعلم المعارف المناقضة للإسلام من أجل أخذها في التصور والدعوة والتطبيق، فمثلاً نظرية دارون تقول: "إن الإنسان تطوّر عن القرد" مع أن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيْسَى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ**﴾(١٠)، ونظرية التطور المادي في العقيدة الشيوعية تقول: إن المادّة تتطور من ذاتها تطوراً حتمياً، ولا يوجد شيء آخر طوّرها، فلا يوجد خالق لهذا الكون، مع أن الله تعالى يقول: ﴿**يَآ أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا آمِنُوْا بِاللّهِ**﴾(١١) أي بوجوده، ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**اَللَّهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْيْنَ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾(١٢). "وقد أحدث القرآن الكريم ثورة ثقافية عارمة، لم يشهد لها الناس مثيلاً لا من قبل ولا من بعد، أنقذت البشرية من الانقسام والظلم والعدوان ومن التخلف الثقافي، وما مكن الإسلام أن يفعل ذلك إلا تلك المكانة الرفيعة التي احتلتها المعرفة من خلال ثورة ثقافية من حيث الشمول والجذرية"(١٣).

ونؤكد هنا أهمية التنبيه إلى أن ما ورد في الكتاب والسنّة من معارف الوحي، يشكل قيماً ومرجعية ومعياراً لضبط مسيرة البشرية في كل زمان ومكان، وأن وضع البرامج والمناهج في التعليم والتعلم يجري عليها الخطأ والصواب، والمعرفة والإنكار، والقبول والرد، لكونها اجتهاداً عقلياً في تنزيل الفهم الإسلامي على وقائع مستجدة لخبرات بشرية في المعرفة اللازمة للنهضة(١٤).

ومن هنا يتقرر بوضوح: أن الثقافة الإسلامية هي المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سبباً في بحثها ومعرفتها وهي(١٥):

أولاً: المعارف التي تتضمن العقيدة الإسلامية وتبحثها مثل: علم التوحيد.

٨- محمد بن علان: **دليل الفالحين**، مكتبة مصطفى الحلبي بمصر، ١٣٨٥هـ، ج ٤، ص ١٨٥.

٩- سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

١٠- سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

١١- سورة النساء، الآية: ١٣٦.

١٢- سورة السجدة، الآية: ٤.

١٣- سعيد إسماعيل علي: من ملخص بحثه في كتاب **مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة**، ص١٦٢.

١٤- عمر عبيد حسنة، **مقدمة كتاب: الخطاب التربوي الإسلامي**، كتاب الأمة، عدد ١٠٠، ٢٤-١٤٢٥هـ، ص١١.

١٥- تقي الدين النبهاني: **الشخصية الإسلامية**، القدس، ط ١، ١٩٥٤م، ج ١، ص ٢٢٧.

ثانياً: المعارف التي تم بناؤها على العقيدة الإسلامية، مثل: الفقه والتفسير والحديث.

ثالثاً: المعارف التي يقتضيها فهم ما ينبثق عن العقيدة من الأحكام، مما يوجبه الاجتهاد في الإسلام مثل: علوم اللغة العربية ومصطلح الحديث وعلم الأصول.

فهذه كلها ثقافة إسلامية كانت العقيدة سبباً في بحثها. وليس معنى الحثّ على تعلّم وتعليم الثقافة الإسلامية هو اقتصار المسلم عليها فقط، بل معناه جعلها أساساً في التثقيف والتعليم والتأهيل والتدريب، وإباحة غيرها من الثقافات والعلوم، إلا أنه يجب أن تكون الشخصية الإسلامية هي المركز الأساسي الذي يدور حوله اكتساب أي معرفة. لذلك كان علينا أن ندرك الإجابة عن السؤال التالي: هل معرفة علوم التربية ومفاهيمها الغربية هي من الثقافة الإسلامية المنبثقة عن العقيدة الإسلامية ؟ أو أنها من العلوم المبنية على الإدراك العقلي بالحسّ والمشاهدة؟ وذلك لنحدد موقفنا عند بدء النهضة واستئناف الحياة الإسلامية، أي طريق نسلك وأي مهالك نترك؟

وقد شاع بقوة طرح عنوان معرفي معاصر بمفهوم "الخطاب التربوي الإسلامي" أو "أسلمة علوم التربية"(١٦) وبالمتابعة الفكرية وجدنا أن الأمر قد وصل إلى درجة أن ينادي بعض مفكري التربية الإسلامية من المعاصرين إلى اتجاهات متناقضة حصرناها في ثلاثة(١٧):

الاتجاه الأول: يصرّ على عدم حتميّة ربط النظرية التربوية الإسلامية المعاصرة بموروث الحضارة الإسلامية، لأن هذا سيؤدي إلى "شيوع صور من التطرف والغلو تقوم على مقولة ترى: إمّا الإسلام كله وإمّا تركه كله. ولو قصد بهذا الإيمان الكامل بكل ما جاء في القرآن والسنة المطهرة فهذا حق، لأننا مكلفون بالإيمان بالكتاب كله، ولعلّ الخلط بين هذه القضية وبين تطبيق الإسلام وفق الاستطاعة هو

١٦- كان رجال المعهد العالمي للفكر الإسلامي في أمريكا من أوائل الذين طرحوا هذه الأفكار ضمن سلسلة **إسلامية المعرفة**، ١٩٨٦م، وقد أثار هذا الطرح لأسلمة العلوم الإنسانية عاصفة من النقد والنقض. انظر على سبيل المثال: عثمان عبد القادر الصافي: **أسلمة العلوم الإنسانيّة: عنوان وهمي لا واقع موضوعي له**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، سنة ١٩٩٣م، ص ٢١٩، ومحمد محمد حسين: **حصوننا مهددة من داخلها**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، سنة ١٩٧٧م، حيث قال عن الذين يتآمرون بالغزو الفكري للأمة بالدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية: "ولا يزال أصحاب الباطل ماضين في اتخاذ هذا الأسلوب جيلاً بعد جيل، يزحفون حتى يسدوا على الناس سبيل الحق"، ص ١٠.

١٧- قارن مع الشيخ عثمان الصافي: **أسلمة العلوم الإنسانية**، حيث يرى في ص ٣٨ وما بعدها: أنها خمسة آراء: الأول: أنه ليس للمسلمين حاجة إلى هذه العلوم، الثاني: الإعجاب بهذه العلوم في مجالها العملي، الثالث: أسلمة هذه العلوم بتحويلها إلى علوم إسلامية، الرابع: تكييف هذه العلوم مع واقع الطب النفسي، الخامس: هذا تطور فكري في علوم لم يعرفها الإسلام.

علّة الغلو والفهم الخاطئ[١٨]، لأنه من الطبيعي أن يؤدي الفكر النقلي الخامل إلى الانشداد إلى الماضي، فيعيش العقل المسلم حالة اجترار فكري لمقولات عناصرها صالحة في أزمان تغيرت في كل شيء باستثناء جوهر العقيدة وأصول الشريعة"[١٩].

الاتجاه الثاني: يرى ضرورة اعتماد الكتاب والسنة أساساً لبناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة من خلال منهج يتضمن "نظاماً متكاملاً من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والخبرات والمعارف والمهارات الإنسانية المتغيرة، التي تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها، بقصد إيصالهم إلى مرتبة الكمال التي هيأهم الله تعالى لها، من خلال منهج تربوي يتميز بخصائص التكامل والربانية والتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، القائم على منهج التوحيد الذي يخاطب عالمية الفكر الإنساني، بما يحمله من ثوابت تحفظ الإنسان من الانهيار، وبشمولية للحقائق الكلية والفطرة البشرية، بجعل النشاط الإنساني متوجّهاً لعبادة الله تعالى وذلك بإدراك الصلة بالله تعالى من الناحية الروحية، وذلك كله لنيل غاية الغايات بالنسبة للعبد المؤمن، وهي نيل رضوان الله تعالى"[٢٠].

الاتجاه الثالث: يرى أن الحاصل هو في وجوب أن يحرص كل الحرص على العقيدة الإسلامية حين التزوّد بالثقافات والعلوم الوافدة إلينا، وذلك بجعل الشخصية الإسلامية هي المركز الأساس لاكتساب أية ثقافة تربوية، وهذا الحرص هو الذي يبقي على وجود الشخصية الإسلامية لدى المسلم، ويجعل الثقافة الإسلامية تؤثر في غيرها من الثقافات، ويحافظ على بقائها ثقافة إسلامية في التربية والتعليم، متميزة عن سائر ثقافات العالم[٢١].

وإذا ذهب حرص رجال التربية، وتساهلوا في اكتساب الثقافة التربوية من الحضارة الغربية على غير أساس الإسلام، بعيداً عن أخذ العقيدة الإسلامية في الاعتبار، فإن ذلك سيؤدي إلى وجود

١٨- سعيد إسماعيل علي: **الخطاب التربوي الإسلامي**، سلسلة كتاب الأمة، عدد ١٠٠، وزارة الأوقاف القطرية، ١٤٢٥هـ، ص ٦٤.

١٩- المرجع السابق، ص ٥٢.

٢٠- علي أحمد مدكور: "مفهوم المنهاج التربوي في التصور الإسلامي"، بحث لمؤتمر: نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، ص ١٣١-١٣٨ من كتاب **المؤتمر التربوي**، ط ١، سنة ١٩٩٠م، عمّان.

٢١- قارن مع محمد محمد حسين: **حصوننا مهددة من داخلها**، ص ٤٨ - ٥٠. وانظر: قول جوستاف لوبون في كتابه: **روح السياسة**: بأن تهذيب المسلمين بالمعارف العصرية الأوروبية خارجاً عن دائرة تقاليدهم وعقائدهم يزيدهم انحطاطاً وفساد أخلاق، ولن تنفعهم هذه العلوم إلا إذا كانت ضمن دائرة عقيدتهم. نقلاً عن أنور الجندي: **بماذا انتصر المسلمون**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، سنة ١٩٨٣م، ص ٩٣.

خطر حقيقي على الشخصية الإسلامية للفرد والأمة والدولة(٢٢). ولكن الذي يمعن في النظر إلى واقع ما عليه الفكر التربوي المعاصر، لا يجد بدّا من التسليم بمدى النجاح الذي حققته التربية المعاصرة، ليس في مجال الفكر والمفاهيم، وإنما في مجال الأساليب، وتوظيف العلم، والتقنية، والمهارات، والتجربة، والملاحظة، في سبيل بناء وتصور وتقديم المعلومات والأفكار في عملية التعليم والتعلم. إذن، لابد من نظرة نحو تجديد فهم كيف يمكن أن يكون عليه حال علوم التربية المعاصرة؟ وكيف يمكن توظيفها في المساعدة على تكوين الشخصية الإسلامية؟

"ويعتبر تجديد التعليم للأفراد والبلدان مفتاح تطوير المعرفة وتطويعها ونشرها، فالتجديد والتطوير في التعليم الأساسي يزيد من قدرة الناس على التعلم وتفسير المعلومات، ولكن تلك هي البداية فقط، لأن هناك حاجة كذلك إلى تطوير وتجديد للتعليم العالي والتدريب الفني، من أجل بناء قوة عمل قادرة على مسايرة التيار المتدفق تكنولوجياً، ذلك التيار الذي يضغط بأدواته من أجل وقف التدهور في سرعة انخفاض رأس المال البشري"(٢٣).

فالعملية التربوية القادمة إلينا من الحضارة الغربية لها جناحان:

أحدهما: جناح الثقافة والفكر والمفاهيم في التصور الكلي للكون والإنسان والحياة، وهو منبثق من عقيدة النظام الرأسمالي الذي فصل الدين عن واقع الحياة. فالمفاهيم التربوية التي ترى وجوب تعليم الجنس وقيامه بين الذكر والأنثى لدى المراهقين(٢٤)، وبثّ فكرة أن الطلاق دمار للأسرة والمجتمع، وأن الموت في سبيل الله تعالى هو انتحار وإرهاب، وأن عقوبة قطع يد السارق هو قمة الهمجية، وأن

٢٢- النبهاني: **الشخصية الإسلامية**، ج ١ ص ٢٣٢. (بتصرف).

٢٣- سعيد إسماعيل علي: **الخطاب التربوي الإسلامي**، ص ١٢٥.

٢٤- راجع محمد محمد حسين: **حصوننا مهددة من داخلها**، ص ٤٠ حيث يقول المؤلف: لقد أصدرت مؤسسة فرانكلين سلسلة دراسات سيكولوجية منها العدد ١٢ كتاب **الطفل والأمور الجنسية**، جاء في ص ٢٣، سؤال: هل تعتقد أن المواقف التي تتضمن ناحية جنسية تثير الضحك؟ وجاء في ص٦٠ ما نصّه: إذا حدث التجريب في النواحي الجنسية في الفترة الواقعة بين سن ٨- ١٢ سنة فمن المحتمل أن يقع بين أفراد الجنس الواحد، فهذا السلوك لا يعتبر غير طبيعي، ولا يدمغ الطفل بالشذوذ أو الإجرام أو الانحراف، كما أنه لا يستدعي عقابه أو تهديده بأنه سيصاب بأمراض خبيثة، ولا يتطلب محاضرات أخلاقية، ولا يبرر نبذه وتحقيره، و في ص٦٢ — ٦٣: فبدلاً من فصل البنين عن البنات يجب علينا أن نعمل على إشراكهم معاً في الأعمال الممتعة، وأن نحاول مساعدتهم على تكوين مشاعر طبيعية مريحة نحو الجنس الآخر. وجاء في ص ٧٨: إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق. وجاء في ص ٨٧: في كل علاقة تقوم بين فتى وفتاة يشعر كل منهما بدافع يحفزه على التعبير عن حبه بلمسة أو قبلة والرغبة في الاستجابة لهذه المشاعر أمر طبيعي. (ولذلك كان التقديم العلمي من الدكتور عبد العزيز القوصي للعدد الأول بقوله: هذا الكتاب الأول في مجموعة من الكتب تهدف إلى توجيه الآباء والمدرسين إلى حياة أحسن من تلك التي يعيشونها).

جلد الزاني هو نهاية الإرهاب الفكري المدمر لحرية الإنسان، كما رأينا الاتحاد الأوروبي وهو يعترض على تركيا بجعل قانون العقوبات المتضمن حبس الزاني سبباً في حرمانها من دخول الاتحاد الأوروبي. فهذا الجناح من فكر التربية الغربية المعاصرة لا يمكنه التعايش مع العقيدة الإسلامية، ويستحيل عليه التسلل لتكوين الشخصية الإسلامية المعاصرة(٢٥).

ثانيهما: جناح تطويع الأفكار العلمية لخدمة التربية، كثقافة الإحصاء التربوي، والقياس والتقويم، والأساليب العقلية في صياغة الأسئلة الموضوعية، والأسئلة السابرة، وتفريد التعليم، والتأهيل التربوي بالتعلم الذاتي عن بُعد، والجامعات المفتوحة عبر بث التلفزة الفضائية. فكل ذلك تستوعبه الثقافة الإسلامية. بل يجب علينا الانتفاع به تعلماً وتعليماً وتطبيقاً، وذلك بأخذ المعاني التي في تلك الأفكار التربوية، وإخصاب الفكر التربوي الإسلامي بها، وتحسين الأداء التطبيقي بهذه المعاني والأفكار والمعارف، لأن ذلك لا يتناقض مع أفكار الإسلام، ولا يؤثر بوجهة النظر في الحياة.

والمسلمون منذ أوائل الفتح الإسلامي حتى العصر الهابط ـ الذي حصل فيه الغزو الثقافي والتبشيري في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ـ كانوا يجعلون العقيدة الإسلامية أساس ثقافتهم، وكانوا منفتحين على دراسة الثقافات غير الإسلامية، للانتفاع بما فيها من معان عن الأشياء. ومن استعراض الكيفية التي درس المسلمون بها الثقافة غير الإسلامية، "وكيف أخذوها"، يتبين وجه الانتفاع وعدم التأثر المفضي إلى الاستحسان والاعتناق والتخلي عن ثقافة الإسلام، وهو عكس ما حدث بعد الغزو الثقافي الغربي.

أما العلوم الأخرى من طبيعية ورياضية، فإن المسلمين درسوها وأخذوها أخذاً عالمياً، لعدم تأثيرها بوجهة النظر في الحياة، لأنها علوم تجريبية عامة وعالمية لجميع الناس، ولا تختص بأمة دون غيرها، ولذلك أخذها المسلمون وانتفعوا بها، لكون العلم عالمياً لا دين ولا وطن له(٢٦)، وخير

٢٥- وفي كتاب آخر أصدرته مؤسسة فرانكلين بعنوان: **كيف تتكامل الشخصية**، يقول المؤلف ص ٧٥: فالشوق إلى القبلة أو الإنصات إلى قصة فيها تلميحات جنسية، ليست أموراً شائنة، فليس كل ما يدور حول الجنس يدخل في باب المحرمات. وتعليقاً على كل ذلك يقول المفكر المسلم الدكتور محمد محمد حسين في رائعته **حصوننا مهددة من داخلها**، ص ٤٦: فهذه الدعوات يسميها أصحابها علماً ويضعونه تحت عنوان جميل اسمه **علم النفس** ويغوون الناس باسم العلم فيما فشل فيه المبشرون والدعوات الهدّامة، بينما نسميه نحن بذاءً أو فجوراً.

٢٦- محمد محمد حسين، المرجع السابق، ص ٥٠ ـ ٥١، حيث يقول: أمّا العقل فميدانه المسائل المادية الخالصة كالهندسة والكيمياء وكل ما اصطلح عليه الغربيون في هذا العصر على تسميته (Scientific) لذلك لم تنزل الشرائع والأديان السماوية بنظريات في الهندسة أو في الطبيعة أو في الكيمياء إلاّ ما يكون من ذلك على سبيل إظهار المعجزة.

مثال على ذلك أسلوب تأليف الكتب والأبحاث العلمية، حيث أخذه المسلمون عن غيرهم حتى نما نمواً طبيعيا، إلى أن وصل إلى روعة التنظيم في التدوين والتوثيق وتفريع المسائل والتبويب، حتى أخذ التأليف يتركز حين اتسعت دائرة المعارف الإسلامية، فبرز عند العلماء فن التخصص في تأليف معارف النحو، والتفسير، والأدب، والأخلاق، والأصول، والدعوة، والتاريخ، بل وجدت كتب في فرع واحد من الفقه، مثل **كتاب الخراج** لأبي يوسف في الاقتصاد، **وكتاب الأحكام السلطانية** للماوردي في سياسة الحكم. ثم شمل التأليف كل فروع العلوم والمعارف، وصار يترقى تدريجياً إلى أن أصبح تأليفاً راقياً شاملاً وناصعاً في صفحات الحضارة الإسلامية(٢٧).

لذلك كان القياس الشمولي فاسداً حين يذهب بعض المفكرين المعاصرين إلى رفض كل ما أنتجته عقلية الحضارة الغربية من علوم التربية(٢٨).

والصحيح كما أسلفنا، هو أن للفكر التربوي وجهين:

أحدهما: الجانب الثقافي المعبر عن وجهة نظر العقيدة الرأسمالية.

وثانيهما: يمثل الجانب العلمي المعبر عن الخبرة والتجربة والمشاهدة.

وفي جميع الأحوال، فإننا نتبنّى بقوة جواز الانتفاع وحرمة التأثر، كما فعل السلف الصالح في بدايات عصر النهضة الحضارية. وذلك لا يمنعنا أن نقف مع الواقفين موقف التشكيك والحذر من الفكر التربوي الغربي، ولابد من التمحيص قبل البدء بعملية الانتفاع، وذلك بسبب أنه: يوجد خلط عند الناس بين الأفكار الاستنتاجية الناتجة عن الطريقة العقلية، والأفكار العلمية الناتجة عن الطريقة العلمية، ونتج عن هذا الخلط إطلاق وصف العلم (Science) على الثقافة (Culture) المسماة "علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم التربية" بناء على ملاحظات جرى تتبعها على الأطفال، أو القرود، أو الفئران، أو الكلاب، وجرى تتبعها في ظروف مختلفة. فسمّوا تكرار هذه الملاحظات تجارب علمية(٢٩)،

٢٧- النبهاني: **الشخصية الإسلامية**، ج ١ ص ٢٤٣.

٢٨- راجع وقارن مع: محمد إسماعيل عبده، **الفكر الإسلامي**، طبعة القدس سنة ١٩٥٣م، ص ٨٢-٩١، وسميح عاطف الزين: **الإسلام وثقافة الإنسان**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٧، سنة ١٩٨١م، ص١٧٥-١٧٨.

٢٩- يقول أستاذنا العلامة المفكر الإسلامي محمد محمد حسين تعليقاً على سلسلة كتب علم النفس التي أصدرتها مؤسسة فرانكلين: ودورها المشبوه المفضوح: "هذه الدعوة السافرة إلى هدم الخلق والقضاء على الحياء وإشاعة الفاحشة والتي تسمى عند الأمريكيين وسماسرتهم بـ: "علم النفس"، وعلماء النفس هؤلاء يبنون قواعدهم وقوانينهم على تجارب ظنية معرضة للخطأ والتحيّز، ولأن تكون أداة بيد أصحاب المذاهب السياسية... لأنه من الواضح أنه ليس هناك وسيلة للقطع بأن الأفراد الذين جرت عليهم التجارب أو الإحصاءات يمثلون الجنس الذي ينتمون إليه تمثيلاً صحيحاً، لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان، ومن أجل ذلك كثرت مذاهب علماء النفس والاجتماع والتربية، وتعددت آراؤهم، وأصبح كل فريق منهم ينكر آراء الآخرين أشد الإنكار ويسفهها أشد التسفيه، ص ٤٧ -٤٨.

والحقيقة: إن أفكار علوم التربية ليست أفكاراً علمية، كالطب والهندسة وعلوم الفضاء، بل هي أفكار عقلية. لأن التجارب العلمية هي إجراء عمليات تجارب على نفس المادة محل الاختبار كتجارب الكيمياء. وعليه، فملاحظة الطفل في أحوال مختلفة وأعمار مختلفة، وملاحظة الجماعات في بلدان مختلفة وظروف مختلفة، كل ذلك لا يُعدّ في مجال البحث: تجارب علمية ولا طريقة علمية. بينما نجد الملاحظة والمشاهدة والاستنتاج طريقة عقلية ثقافيّة وهي: محلّ خلاف بين عالم وعالم، بل والعالم نفسه عند اختلاف الظروف والأحوال. وعليه فإن أفكار ما أطلق عليه علوم التربية عند الغربيين هي ثقافة، ولا تدخل بحال من الأحوال في حقل تجارب العلوم والتكنولوجيا(٣٠).

ومن المعلوم أن علم النفس وعلم الاجتماع وما انبثق عنهما من علوم التربية، هي أمور ظنية قابلة للخطأ وليست من الأمور القطعية(٣١). لأن علم النفس مبني في جملته على نظرته للغرائز، وعلى فهمه للدماغ، فهو ينظر إلى أن في الإنسان غرائز كثيرة، منها ما اكتشف ومنها ما لم يكتشف. "كغريزة الخوف، وغريزة الميل الجنسي، وغريزة العطف، وغريزة التملك، وغريزة التقديس، وغريزة حب الاستطلاع و... و... و..."(٣٢).

والحقيقة في هذا كله هي: أن المشاهد بالحسّ من تتبع الرجع، أو ردّ الفعل، أن الإنسان فيه طاقة حيوية لها مظهران: **أحدهما:** الحاجات العضوية: وهي ما يتطلب الإشباع الحتمي وإلا مات الإنسان، وهذا يتمثل في الحاجات العضوية "كالجوع والعطش وقضاء الحاجة". **والثاني:** الغرائز: وهي ما يتطلب الإشباع ولكنها إذا لم تُشبع يبقى الإنسان حيّا، ولكنه يتألم وينزعج ويصيبه القلق. وهذا يتمثل في الغرائز الثلاثة وهي: غريزة التدين، وغريزة حب البقاء، وغريزة النوع.

٣٠- قارن مع محمد محمد حسين: **حصوننا مهددة من داخلها** – حيث يقول المؤلف: وحقيقة الأمر في ذلك كله أن العقل ليس هو الأداة الصحيحة لبحث المسائل النفسية كلها، لأن النفس تدخل في عالم الغيب الذي لا يخضع لحاسة من الحواس، ولأن تقرير الخطأ والصواب في علم الأخلاق يحتاج لمعرفة العلة الأولى والهدف الأخير ..... والتجارب والإحصاءات، إذن ليست هي الوسيلة الصحيحة لتقرير الحقيقة في مذاهب الناس وسلوكهم، لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان والحواس، ولذلك لم يكن هناك مندوحة من الاستناد في التنظيم الاجتماعي، والتقنين التربوي الخلقي إلى الشرائع السماوية..... لذلك فإن كل سند أصحاب هذه الدعاوي النفسية والاجتماعية والتربوية الشاردة، هو مجرد الظن الذي أضلّ من قبلهم من الكافرين، والذي وصفه الله تعالى في القرآن الكريم بأنه ﴿**لاَ يُغْنِيْ مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾، ص ٤٩-٥٠. وقال في الهامش راجع: **العالم وآينشتين**، سلسلة اقرأ، دار المعارف، ص ٣٤، ٣٨، ٦٧.

٣١- النبهاني: **الشخصية الإسلامية**، ج ١، ص ٨٣.

٣٢- محمد حسين عبد الله: **مفاهيم إسلامية**، عمان، الأردن، ط ١، سنة ١٩٨٥م، ص ١٨.

وما عدا هذه الغرائز الثلاثة عند علماء النفس هي مجرد مظاهر ترجع إلى هذه الثلاثة(٣٣):

- كالخوف، وحب التملك، وحب الوطن، وحب السيادة، ترجع إلى غريزة البقاء.
- والميل الجنسي، والعطف وحب الأبناء، والأمومة، ترجع إلى غريزة النوع.
- واحترام الأبطال، والشعور بالعجز، والعبادة، ترجع إلى غريزة التدين.

أما من ناحية الرد على الخطأ في فهم علماء النفس للدماغ: فالحقيقة هي أن الدماغ عند البشر واحد، فلا توجد في دماغ قابلية لا توجد في الآخر، فجميع الأدمغة البشرية فيها قابلية التفكير في كل شيء متى توفر "الواقع المحسوس، والحواس السليمة، والمعلومات السابقة الصحيحة، والدماغ السليم" ولكن الأدمغة تتفاوت في قوة الربط وقوة الإحساس، كما تتفاوت العيون في قوة الإبصار وضعفه. ولذلك كانت عملية التفكير هي: نقل الإحساس بالواقع إلى الدماغ، الموجود فيه معلومات سابقة تفسر هذا الواقع، فيصدر الدماغ حكمه على هذا الواقع.

ومن هنا وقع الاشتباه لدى علماء النفس، من قولهم بأن المعلومات السابقة قد تحصل من تجارب الشخص نفسه ابتداء دون تصور سابق لها، فقاموا بإجراء تجارب على الحيوان (كلب أو قرد أو فأر) ثم قاسوا الإنسان على الحيوان، مع قناعتهم بأن ما يحصل من الحيوان حين سال لعابه بسماع الجرس، هو إدراك وفهم ومعلومات سابقة لدى الحيوان، وهذا خطأ مخالف للواقع، بينما الصواب أن ما حصل مع الحيوان، هو مجرد شعور غريزي بما يشبع أو بما لا يشبع، نتيجة خاصيّة مخلوقة فيه راجعة لغريزة حب البقاء، بدليل أننا لو قرعنا الجرس لكلب آخر لم يخضع للتجربة فإنه لا يسيل لعابه، لأن الحيوانات لا تعقل ولا تفكر، فدماغها يخلو من المعلومات السابقة مع انعدام خاصيّة الربط. ويؤكد الخالق تبارك وتعالى هذه الحقيقة الربانية في الخلق والحياة: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُوْنَ أَوْ يَعْقِلُوْنَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلاً**﴾(٣٤). وعلى هذا فاعتبار علم النفس للغرائز، وفهم علماء النفس لطريقة التفكير وكيف تتم في الدماغ، إنما هو اعتبار خاطئ أدى إلى صوغ أكثر نظريات علم النفس، وكثير من علوم التربية التي بنيت على أساسها(٣٥).

٣٣- الشيخ تقي الدين النبهاني: **التفكير**، بيروت، ط ١، سنة ١٩٧٣م، ص ٤١- ٤٦، ومحمد حسين عبدالله: **مفاهيم إسلامية**، ص ١٨. وسميح عاطف الزين: **الإسلام وثقافة الإنسان**، ص ٩، ١٦. ومحمد إسماعيل عبده: **الفكر الإسلامي**، ص ٨٣- ٨٤.

٣٤- سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

٣٥- محمد إسماعيل عبده: **الفكر الإسلامي**، ص ٨٥.

أما علم الاجتماع فمبني في جملته على أساس النظرة الفردية، أي على النظرة التي تنتقل من الفرد إلى الأسرة والجماعة والمجتمع، على اعتبار أن المجتمع مكوّن من أفراد فقط. ولهذا فصلوا بين مجتمع وآخر، من جهة أن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لمجتمع آخر، وبنى علماء الاجتماع على هذه النظرة نظريات خاطئة، كانت السبب الرئيسي الذي أدى إلى الخطأ في أفكار علم الاجتماع.

والحقيقة أن الفرد مع الفرد مع الفرد يكونون جماعة وليس مجتمعاً، ولا يمكن للجماعة أن تشكل مجتمعاً إلا إذا نشأت بينهم علاقات دائمية، بدليل أن وجود عدة آلاف مسافرين في باخرة لا يجعل منهم مجتمعاً، ولكن وجود مائتي شخص في قرية يشكلون مجتمعا، لما بينهم من علاقات دائمية(٣٦). فالبحث في المجتمع يكون بحثاً في المصالح، وهي لا تنشئ علاقة إلا إذا اجتمعت فيها ثلاثة أمور:

أحدها: أن تتوحد رؤية الأطراف في هذه المصلحة.

والثاني: أن تتوحد المشاعر على المصلحة.

والثالث: أن يتوحد النظام الذي ينظم هذه المصلحة.

وهكذا: فإنه بتوحيد الأفكار والمشاعر والأنظمة في الأفراد ينشأ المجتمع، وبالفهم الصحيح لواقعه فإنه مكوّن من أربعة: الإنسان، والأفكار، والمشاعر، والأنظمة. ومن هنا كان إصلاح المجتمع إصلاحاً جذرياً، إنما يكون ببحث المجتمع باعتباره إنساناً وأفكاراً ومشاعر وأنظمة، وليس باعتباره مجرد فرد فقط، كما يرى علماء الاجتماع(٣٧).

أما علوم التربية فهي مبنية على علم النفس، ومتأثرة بعلم الاجتماع، وناتجة عن ملاحظة أعمال الأفراد وأحوال الأطفال، وهذا يجعل علوم التربية يختلط فيها الصحيح بالفاسد، فما بني على علم النفس وتأثر بعلم الاجتماع فهو فاسد، وفساده أدى إلى الوقوع في تبني أفكار تربوية فاسدة، أدّت إلى فساد مناهج التعليم:

- فاعتبار الطفل غير قابل للرياضيات، وقابلاً للتاريخ هو اعتبار فاسد.
- وتقسيم التعليم إلى علمي وأدبي، مخالف للواقع، ومضر بمصالح الأمة.
- وتقسيم السنة بجعل الصيف كله عطلة للتلاميذ خطأ جسيم.

٣٦- الشيخ تقي الدين النبهاني: **نداء حار إلى المسلمين**، مطبعة مصر سودان ليمتد، الخرطوم، ط ١، سنة ١٩٦٥م، ص ١٧.

٣٧- محمد حسين عبد الله، **مفاهيم إسلامية**، المجتمع، ص ١١١- ١٢٥، سميح عاطف الزين، **الإسلام وثقافة الإنسان**، المجتمع، ص ١٥٩- ١٦٩، محمد إسماعيل عبده: **الفكر الإسلامي**، ص ٨٥- ٨٧.

- ومنح الطلاب يومين عطلة أسبوعية بثمانية أيام من كل شهر، تعطيل للطاقة الحيوية لدى ما يزيد عن ٦٠٪ من مجموع الأمة.
- وفرض رسوم دراسية على طلبة العلم، أخرج جيشاً من العباقرة الفقراء المحتاجين من فرصة قيادة النهضة.
- وجعل معدل الطالب في السنة الثانية عشرة من التعليم المدرسي مقياساً لقدراته الذهنية، فيه ظلم عظيم وإعدام معنوي للمفكرين.
- واعتماد المعدل المئوي لشهادة الثانوية العامة فقط لتحديد من سيكون طبيباً، ومهندساً، وعالم ذرة، ومعلماً، وميكانيكياً، وعامل نظافة، وجندياً، ومحامياً، وقاضياً، وضابطاً، فيه إهانة للعقل البشري، وعدوان على حقوق الإنسان الشرعية.
- وإلغاء المفهوم الصحيح لوزارة المعارف لنعتها بوزارة التربية خطأ فادح، حيث صار التعليم مهنة لا رسالة.
- وجعل أعلى المعدلات معيارا وحيدا لدارسة الطب، والهندسة، وأوطاها لدراسة التربية، والفلسفة، والقانون، والتاريخ، والعلوم الإسلامية(٣٨) هو حكم على قيادات فكرية بالغباء وقلة الإدراك وكسل الهمة والطموح.

٣٨- وفي هذا يقول المرحوم الشيخ محمد الغزالي في كتابه: **من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث**، دار الكتب الحديثة، بالقاهرة، ط ٣، سنة ١٩٦٣م، ص ٢٩٠، ما نصّه: "هذه قصة شهدت وقائعها ولم أعجب لها، لطول ما رأيت من أمثالها، وأحسست من آثارها: كان لرجل ثري ولد مريض البصر، لرمد في عينيه، حتى كاد يأتي عليهما لولا بقية من ضياء يعرف بها الولد ألوان الحياة. وجلس الأب يوماً فقال لأصحابه: أنا وهبت ابني لله، وسوف أدخله الأزهر بعد أن يحفظ القرآن. وما هي إلا أيام حتى كان الولد يرتل الآيات ويستظهر الصفحات على يد فقيه أعمى معروف بالمهارة. ولكن القدر العجيب لم يشأ أن يترك المسألة تمر على هذا النحو، فإن الولد الذي حار الطب في عينيه يصحّ، وكلما مرت الأيام ازداد بصره حدّة، وازدادت أجفانه نضارة وإشراقاً. وحار الوالد وجاشت في نفسه شتى الخواطر، لقد وهب ابنه للأزهر على أساس أنه أعمى أو شبه أعمى، وذلك وحده ما يجعله يفقه على التعليم الديني من باب قوله تعالى: ﴿**وَيَجْعَلُوْنَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُوْنَ**﴾ أمّا الآن فماذا يصنع؟ ولم يطل تردده، فما هي إلا أيام حتى كان الولد بإحدى المدارس المدنية. ويتابع الشيخ محمد الغزالي قوله: ذلك مبلغ عناية المسلمين بدينهم، لا يهبون لتعلمه إلاّ طوائف من الناس فيها العمياء، والعوراء، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع! أما أصحاب المواهب العريقة والخصائص الدقيقة والوجوه الصبيحة، والأجسام المكتملة، فليس من البر أن يظفر بها دين الله! وإنني أخشى أن يرتفع المستوى الصحي في الأمة، فلا يوجد من يتعلم الإسلام، انتهى كلام الغزالي.

- واعتماد كرتونة الجامعة بمستوياتها دليلاً على الأحقية في تولي المسؤولية، والاعتراف بالمستوى العلمي، يقودنا إلى وضع أديسون والعقاد والفاروق عمر وابن سينا والإمام الشافعي وابن النفيس، في حضانة محو الأمية، وكل ذلك خطأ في جملته.

ولذلك ومن هنا جاء خطأ معظم النظريات التربوية الغربية، وفساد كثير من مفاهيم علوم التربية الرأسمالية، وبخاصة تلك التي بنيت على علم النفس وتأثرت بعلم الاجتماع(٣٩). وفي ذلك يقول المفكر الإسلامي الدكتور محمد محمد حسين في كتابه **حصوننا مهددة من داخلها**: وليس يُفهم من ذلك أننا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية، فذلك ما لا يدعو إليه عاقل يؤمن بنعمة العقل والتفكير، ولكن الذي ندعو إليه هو أن ندرك نحن المسلمين حق الإدراك مدى طاقتنا العقلية والفكرية، فنقيد أنفسنا في هذه البحوث وأمثالها مما يتصل بعالم الغيب بقيود الدين. نلتزم حدوده ولا نتعسف الطريق حتى لا نتعرض للضلال والهلاك. فنحن إذن لا نعطل العقل، ولكننا نحفظه من الضلال ونلزمه أصولاً وقواعد هي كالسور الذي يعصم السالك في الظلام من التردي في الهاوية، وهي مثل قوانين المنطق التي لا يعتبر التزامها حداً للتفكير ولكنه عصمة له.

ونحن إن احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه في الصناعات الآلية، التي كانت سبباً في مجده وسلطانه، فمن المؤكد أننا في غير حاجة إلى استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق، التي تدل الأمارات والبوادر على أنها ستؤدي إلى تدمير حضارته، والقضاء عليها قضاء تاماً في القريب العاجل(٤٠).

لذلك كان من صعوبات استئناف الحياة الإسلامية في عصرنا، ظهور الأفكار غير الإسلامية، وغزوها للعالم الإسلامي(٤١)، حين مرّ في العصر الهابط، وهو ضحل التفكير، منعدم المعرفة، ضعيف العقلية، وجاءه الغزو الثقافي وهو على هذه الحالة المزرية بسبب الانحطاط العام، فوجد الغزو تربة خصبة خالية من المقاومة، فتكونت عقلية سياسية مشبعة بالتقليد محاربة للابتكار، فلم تستطع إدراك ما في الغزو الثقافي من زيف وأخطار، وبرز ذلك جلياً في البرامج التعليمية التي وضعت على الأساس الذي وضعه الاستعمار في المدارس والجامعات، وتخريج من يتولى أمور الحكم والإدارة والقضاء والتعليم والطب وسائر شؤون الحياة بعقلية مهزومة داخلياً، منتشية بالإعجاب والإكبار بثقافة المستعمر، إلى أن صاروا مدافعين عنها، حتى سار قطارهم الثقافي على سكة مناقضة لاتجاهات الإسلام، وليس المقصود ببرامج

٣٩- محمد إسماعيل عبده: **الفكر الإسلامي**، ص ٨٧.

٤٠- محمد محمد حسين: **حصوننا مهددة من داخلها**، ص ٥٢- ٥٣.

٤١- الشيخ تقي الدين النبهاني: **الدولة الإسلامية**، بيروت، ط ٢، سنة ١٩٨٥م، ص ١٨٣.

التعليم البرامج العلمية كالطب والهندسة والزراعة والفيزياء وعلوم الأرض والفضاء، فإن هذه علوم عالمية لا تختص بها أمة من الأمم عبر التاريخ، لأنها عالمية لجميع الناس في كل عصر ومصر، وإنما نعني بالبرامج التعليمية تلك الثقافة المؤثرة في وجهة النظر في الحياة، كالتاريخ والأدب والفلسفة والقانون.

أ- فالتاريخ: هو التفسير الواقعي للحياة.

ب- والأدب: هو التصوير الشعوري لهذه الحياة.

ج- والفلسفة: هي الفكر الأصلي لبناء وجهة النظر في الحياة.

د- والقانون: هو المعالجات العملية لمشاكل الحياة.

وهذه كلها ثقافات تبناها المستعمر، ونجح في جعل عقلية بعض أبناء المسلمين تتبنى عدم ضرورة وجود الإسلام في الحياة، ومنهم من أنكر صلاحية الإسلام لمعالجة مشاكل الحياة، حتى وصل الأمر بقوم أعلنوا صراحة عداءهم للإسلام.

ومن جرّاء ذلك كله، وعلى يد أمثال هؤلاء، وجد لدى الرأي العام الإسلامي إكبار وإجلال وتعظيم لبعض المعارف الثقافية الغربية، وذلك كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم التربية، واعتبارها علوماً عالمية كالفيزياء والطب وعلوم الفضاء ... وجعلوا ثقافتها حقائق نتيجة تجارب علمية، حتى باتت قضايا مسلماً بها من خلال مناهج تدرس في الجامعات، حتى صار من علامات المثقف المسلم، الاستشهاد بما قاله علماء النفس، وعلماء الاجتماع، وعلماء التربية، أكثر مما يستشهد بالقرآن والحديث النبوي(٤٢). بل أصبح من الصعوبة بمكان، أن يُقبل من أي مثقف جاد مخلص، أو عالم مبدع، أو فقيه مجتهد، أو مفكر سياسي، أي قول مخالف لها، أو توجيه أي نقد لقضاياها، أو بيان لما قد يعتري بعض مسائلها من أخطاء، مع أن الحقيقة واضحة في كون هذه المعارف الثلاثة هي من الثقافة التي قد تصيب وقد تخطئ، وليست علماً كحاصل جدول الضرب في علم الحساب. ولذلك يجب أن يتم الإعلان بقوة عن أنها معارف ثقافية وليست علوماً، وأنها مجرد نظريات ظنية، وليست بحال من الأحوال حقائق قطعية، ولذلك جاء كثير من قضاياها، وقد بنيت على أسس خاطئة لا يمكن تحكيمها في الحياة(٤٣).

وقد كان الإمام المجدد الشيخ تقي الدين النبهاني، في غاية الوضوح والصراحة، في بيانه لما اصطلح عليه علماء الغرب "علوم النفس والاجتماع، والتربية" وأنها مخالفة لطريقة الإسلام في دراسة المعارف الثقافية، وقد رأى بعبقريته أن طريقة الإسلام في الدرس تتلخص في ثلاثة أمور هي(٤٤):

٤٢- النبهاني: **الدولة الإسلامية**، ص ١٨٥.

٤٣- النبهاني: **الدولة الإسلامية**، ص ١٨٦.

٤٤- النبهاني: **الشخصية الإسلامية**، ط ١، بيروت، ج ١، ص ٢٢٨ وما بعدها.

الطريقة الأولى: أن تدرس الأشياء بعمق حتى تدرك حقائقها إدراكاً صحيحاً، لأن هذه الثقافة فكرية عميقة الجذور يحتاج في دراستها إلى صبر وتحمل. لأن التثقف بها عملية فكرية يحتاج إلى بذل جهد عقلي لإدراكها، لأن الأمر يحتاج إلى فهم جملها، وإلى إدراك واقعها، وربطه بالمعلومات التي يفهم بها هذا الواقع. ولذلك لابد أن تتلقى تلقياً فكرياً. فمثلاً يفرض على المسلم أن يأخذ عقيدته بالعقل والتفكير المستنير، لا بالتسليم والتقليد، فدراسة كل ما يتعلق بأساس العقيدة، لابد من عملية فكرية عند دراسته(٤٥). والأحكام الشرعية نحن مخاطبون بها في القرآن والسنة النبوية، فلابد لاستنباطها من عملية فكرية يفهم بها واقع المشكلة، والنص الشرعي المتعلق بها وتطبيقه عليها، وهذه لابد لها من عملية فكرية. حتى العامي الذي يأخذ الحكم الشرعي دون معرفة دليله من القرآن أو السنة، فإنه يحتاج إلى فهم المشكلة، وفهم الحكم الذي وجد لمعالجتها، حتى لا يأخذ حكماً لمشكلة أخرى غير المشكلة التي ينطبق عليها الحكم، فلابدّ له من عملية فكرية(٤٦). وعلى ذلك فالتثقف بالثقافة الإسلامية سواء أكان من المجتهد أم من العامي، لابد من أن يتلقى تلقياً فكرياً، ولا يتأتى أخذه إلا بعملية بذل جهد فكرية.

٤٥- وذلك واضح في أنه لابد للأشياء من خالق يخلقها، فالإنسان محدود والكون محدود، وحين ننظر إلى المحدود نجده ليس أزليا، وهو عاجز محتاج لغيره في وجوده. ومع أن الإيمان بالخالق المدبر فطري في كل إنسان، ولكن هذا الوجدان قاد إلى عبادة الأوثان، وما الخرافات والترهات إلا نتيجة لخطأ الوجدان الذي قد يجعل لله تعالى صفات تتناقض مع الألوهية، ولذلك حتم الإسلام استعمال العقل مع الوجدان حين يؤمن بالله تعالى، ونهى عن التقليد في العقيدة، وجعل العقل حكماً، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ**﴾ آل عمران، الآية: ١٩٠. وقال الله تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ**﴾ سورة الطارق، الآية: ١٠٥- ١٠٩. ويقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِيْ تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ**﴾ سورة البقرة، الآية: ١٦٤. وعلى هذا جاء منهج القرآن في الإيمان بتكرار مئات الآيات الموجهة إلى القوى العقلية للإنسان تدعوه إلى التدبر والتأمل عن عقل بالتفكير المستنير الذي يقود إلى التصديق الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل. راجع: رؤوف شلبي: **منهج القران الكريم في إثبات العقيدة الإسلامية**، بيروت، ط ٢، سنة ١٩٧٦م.

٤٦- وذلك كشرط الذكورة في الإمام رئيس الدولة: فإنه لا يجوز أن يكون امرأة للحديث "لن يفلح قوم ولّوا أمورهم امرأة"، ابن حجر العسقلاني: **فتح الباري**، طبعة الحلبي مصر، ١٩٥٩م، ج ١٦ ص ٦٦. والمراد توليتها منصب السلطان الأعظم، لأن موضوع الحديث تولية بنت كسرى ملكا، فهو خاص بموضوع الحكم الذي جرى عليه الحديث، فلا ينطبق على تولية المرأة رئاسة الجامعة وإدارة المستشفى. راجع المسألة في كتابنا: **الإسلام وأصول الحكم**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠٠٥م، ص ٣٦٤.

الطريقة الثانية: أن يعتقد الدارس بما يدرس حتى يعمل به، أي أن يصدق الحقائق التي يدرسها تصديقاً جازماً، دون أن يتطرق إليها أي ارتياب إذا كانت مما يتعلق بالعقيدة(٤٧)، وأن يغلب على ظنه مطابقتها للواقع، إذا كانت من غير العقائد كالأحكام والآداب، ولكن يجب أن تكون مستندة إلى أصل معتقد به اعتقاداً جازماً، لا يتطرق إليه أي ارتياب(٤٨). فهي على أي حال تشترط في أخذ الدارس ما يدرس للاعتقاد، إما بما يأخذ وإما بأصل ما يأخذ، ولا تجيز أخذ الثقافة على غير ذلك مطلقاً. فكان من جراء جعل الاعتقاد أساساً في أخذ الثقافة، إن وجدت هذه الثقافة الإسلامية على وضع ممتاز ومتميز، فهي عميقة، وفي نفس الوقت مثيرة مؤثرة، تجعل المثقف بها طاقة ملتهبة، تتأجج ناراً تحرق الفساد، ونوراً يضيء طريق الإصلاح. فإن التصديق الجازم بهذه الأفكار يجعل الارتباط، الحتمي الذي يجري طبيعياً في داخل الإنسان بين واقعه والمفاهيم الموجودة لديه عن الأشياء مربوطاً بهذه الأفكار، باعتبارها معاني عن الحياة، فيندفع بشوق وحماس إلى العمل بهذه الأفكار، فيكون هذا التأثير الهائل لهذه الثقافة في النفوس، إذ تحرّك المشاعر نحو الواقع الذي تضمنه الفكر، لأن الاعتقاد بها هو ربط المشاعر بمفاهيمها فيحصل حينئذ الاندفاع.

الطريقة الثالثة: أن يدرسها الشخص دراسة عملية، تعالج الواقع المدرك المحسوس، لا دراسة مبنية على مجرد أوهام أو فروض نظرية، حتى يصف الأشياء كما هي على حقيقتها ليعالجها ويغيرها. فهو يأخذ الحقائق الموجودة في الكون والإنسان والحياة، مما يقع تحت حواسه أو مما يمكن أن يقع عليه حسه، ويدرسها من أجل معالجتها وإعطاء حكم في شأنها، فيعين موقفه منها من حيث أخذها، أو تركها، أو جعل الاختيار له بين الأخذ والترك. ومن أجل ذلك لا يجعل الإسلام الإنسان يتبع فروضاً نظرية مثل: أن هناك حياة في المريخ فكيف يصوم المسلمون شهر رمضان هناك، ولا يوجد قمر حتى يوجد شهر رمضان! وإنما يجعل الإنسان الذي على هذه الكرة الأرضية محل الخطاب، وهو لابد أن

٤٧- وذلك كقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيْسَى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ**﴾ آل عمران، الآية: ٥٩. فعند دراسة الثقافة الإسلامية لخلق آدم لا يصح افتراض وجود بشر قبله، أو أنه خلق من أب وأم، لأن ذلك يتناقض مع النص القطعي في أن الله تعالى قد خلق سيدنا آدم من تراب.

٤٨- ومثال ذلك حين دراسة قول الله تعالى: ﴿**اَلرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ عَلَى النِّسَآءِ**﴾ سورة النساء، الآية: ٣٤ وقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾ سورة النساء، الآية: ١١، فيجب على الدارس أن يذهب إلى أن هذه المعالجات هي أفضل ما يحقق مصلحة الأسرة لما فيه الخير والوئام. فخالق الخلق هو الأعلم بالإصلاح، ولاستناد النصوص إلى القرآن القطعي.

يشهد شهر رمضان، فلابد أن يصومه، ولكنه يقدر أن الغيم قد يحجب رؤية القمر عن الناس، فيأمر بحكم لهذه الحادثة إذا حدثت، فيقول النبيّ عليه الصلاة والسلام: "وإن غُمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً"(٤٩) . ولذلك يشترط في أخذ الثقافة أن تكون واقعية لا خيالية(٥٠)، ولا نظرية(٥١)، وأن تدرس للعمل بها عند حدوث واقعها في حياته، لا لمعرفة جمالها والتمتع العقلي بفهمها.

هذه هي طريقة الإسلام في الدرس، وهي: التعمق في البحث، والاعتقاد بما يتوصل إليه من البحث أو بما يبحثه، وأخذ ذلك واقعياً لتطبيقه في معترك الحياة. ومتى استكملت الدراسة طريقتها هذه، كان المسلم المثقف بالثقافة الإسلامية على هذه الطريقة عميق الفكر، مرهف الإحساس، قادراً على حلّ مشاكل الحياة، ويسير في طريق الكمال طوعاً واختياراً، سيراً طبيعياً، ولا يستطيع أن يحيد عن هذه الطريق ما دام سائراً على هذه الطريقة. لأن الأفكار الإسلامية التي يأخذها من هذه الثقافة مثيرة مؤثرة، وواقعية صادقة، وهي فوق كونها تجعل المثقف ملتهباً، فإنها تجعل في المسلم مقدرة غير عادية على مجابهة مشكلات الحياة، بحلول لدقيقها وجليلها وسهلها وصعبها. ولذلك تتكوّن عنده العقلية التي لا ترضى إلا بقناعة العقل وطمأنينة القلب، وتتكون عنده في نفس الوقت النفسية الإسلامية المشبعة بالإيمان الكامل. وبهذه العقلية والنفسية يتصف الشخص بالصفات الرائعة التي يتطلبها الإسلام من المسلم. وبهذه العقلية والنفسية يتغلب على جميع الصعوبات التي تعترضه في الطريق، وذلك لما يلاحظ في مادة هذه الثقافة الإسلامية من أفكار عميقة مستنيرة، ومن كون هذه الأفكار مبنية على العقيدة، يتمثل فيها إدراك الإنسان صلته بالله تعالى، فهي إما من عند الله تعالى،

٤٩- ونصّ الحديث: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمّ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً" حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد والنسائي. **سبل السلام**، الحلبي مصر، ط ٤، سنة ١٩٦٠م، ج٢، ص ١٥٠.

٥٠- وذلك مثل من ذهب من أهل العصر لبحث الاستنساخ البشري بين قائل بالتحريم أو الإباحة، فهذا ترف عقلي حيث أن الاستنساخ البشري لم يقع بعد. فكيف يقومون بتنزيل الأدلة على أحكام منطبقة على واقع ليس له وجود بعد، وقد لا يأتي على الإطلاق؟ راجع المعركة الخلافية حول حكم الاستنساخ شرعا: الدكتور كامل العجلوني: **الاستنساخ بين العلم والأديان والمعتقدات**، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م. والاستنساخ هو: "توليد كائن حي بنقل النواة من خلية جسدية إلى بويضة منزوعة النواة أو تشطير بويضة مخصبة" **مجمع الفقه الإسلامي**، المؤتمر العاشر، الدار البيضاء، يونيو ١٩٩٧م.

٥١- فمثلاً "نظرية داروين" في أصل الإنسان تناقض نص القرآن في خلق آدم، فتردّ هذه النظرية لأنها تتعارض مع صريح القرآن، وهكذا كل نظرية من الحضارة الغربية وإن قيل عنها: "حقيقة علمية" لابد عند دراستها من ملاحظة عدم مناقضتها للعقيدة الإسلامية.

أو مستنبطة مما هو من عند الله من كتاب أو سنة، ففيها الناحية الفكرية من حيث كونها فكراً، وفيها في نفس الوقت الروح، من حيث وجود إدراك الصلة بالله تعالى، حين أخذها باعتبارها من عند الله، ولذلك تجعل كل مثقف بها مستنير الفكر، متأجج الحماس، قد باع نفسه في سبيل الإسلام ابتغاء مرضاة الله، كما تجد المثقف بها يعرف ماذا يريد، ويعرف كيف يحل مشاكل الحياة، لأنه قد تعلّم الحقائق التي يواجه بها معترك خوض غمار الحياة، وهو مزوّد بخير زاد الفكر المستنير، والتقوى، والمعرفة التي تحل جميع المشاكل، وهذا جماع الخير العميم(٥٢).

والحاصل:(٥٣) أنه يجب أن يحرص كل الحرص على العقيدة الإسلامية حين التزوّد بالثقافات والعلوم، في جعل الشخصية الإسلامية هي المركز الأساس لاكتساب أي ثقافة، وملاحظة عدم التناقض معها في اكتساب العلوم. وهذا الحرص هو الذي يبقي على وجود الشخصية الإسلامية لدى المسلم، ويجعل الثقافة الإسلامية تؤثر في غيرها من الثقافات، ويحافظ على بقائها ثقافة إسلامية متميزة عن سائر ثقافات العالم. وإذا ذهب هذا الحرص، وتساهل المسلمون في ذلك، فاكتسبوا الثقافات الأخرى على غير أساس الإسلام، ولم يلاحظوا العقيدة الإسلامية حين أخذ العلوم، فإن ذلك يؤدي إلى وجود خطر حقيقي على الشخصية الإسلامية، بل على الأمة الإسلامية، إذا طال أمد هذا السير، واستمر جيلاً أو أجيالاً. ومما سبق عرضه من أفكار ومفاهيم،لابد من التركيز على إبراز مفهوم الشخصية من وجهة نظر الإسلام، حيث عالج الإسلام الإنسان معالجة كاملة لإيجاد شخصية متميزة، إذ جعل العقيدة الإسلامية هي القاعدة الفكرية التي تتبنى عليها الأفكار، وتتكون المفاهيم، وبذلك يوجد لديه المقياس الصحيح للأفكار، فيأمن بذلك زلل الفكر بسلامة الإدراك. وفي نفس الوقت عالج الإسلام أعمال الإنسان الصادرة عن حاجاته العضوية وغرائزه بالأحكام الشرعية، المنبثقة عن هذه العقيدة معالجة صحيحة: تنظم الغرائز ولا تكبتها، وتنسقها ولا تطلقها، وتهيئ له إشباع جميع جوعاته إشباعاً متناسقاً، يؤدي إلى الطمأنينة والاستقرار. فالإسلام تولى بالعقيدة حلّ العقدة الكبرى عند الإنسان، فتكون لديه مفهوم عام كمقياس تقوم على أساسه العقلية والنفسية، وبهذا يتبيّن أن الشخصية الإسلامية مكوّنة من أمرين هما:

العقلية: وهي التفكير على أساس العقيدة الإسلامية.

والنفسية: وهي جعل الميول كلها على أساس الأحكام الشرعية.

٥٢- النبهاني، **الشخصية الإسلامية**، ج ١، ص ٢٣١.

٥٣- المرجع السابق، ج ١، ص ٨ – ١٠، ٢٣٢ (بتصرف).

فكل من يفكر على أساس الإسلام، ويجعل هواه على أساسه، يكون شخصية إسلامية، بغض النظر عن كونه متعلما أو غير متعلم.ومن هنا يأتي تفاوت الشخصيات الإسلامية، وتفاوت العقليات الإسلامية، وتفاوت النفسيات الإسلامية. ولذلك يخطئ كثيراً أولئك الحالمون الذين يتصورون الشخصية الإسلامية على أنها ملاك. وضرر هؤلاء في المجتمع عظيم جداً، لأنهم يبحثون عن الملاك في البشر فلا يجدونه مطلقاً، بل لا يجدونه في أنفسهم، فييأسون وينفضون أيديهم من المسلمين. وهؤلاء الخياليون إنما يبرهنون على أن الإسلام دين خيالي، وأنه مستحيل التطبيق، فيصدون الناس عن الإسلام، ويقعدون عن العمل، بجعلهم البشر ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم(٥٤).

والمسلم حين تتكون لديه الشخصية الإسلامية(٥٥)، يصبح مؤهّلاً للقيادة والجندية في آن واحد، جامعاً بين الرحمة والشدة، والزهد والنعيم، فيستولي على الدنيا بحقها، وينال الآخرة بالسعي لها، ولذا لا تغلب عليه صفة من صفات عُبّاد الدنيا، ولا يأخذه الهوس الديني، أو الغلو التكفيري، ولا التقشف الهندي، فيزعم أنه قد طلق الدنيا، وهذا المسلم ذو الشخصية الإسلامية، تراه حين يكون بطل جهاد يكون حليف محراب، جامعاً بين الإمارة والفقه، وبين السياسة والتجارة. لأنه مدرك أنه عبد لله تعالى، فهذا هو المسلم المؤمن صاحب الشخصية الإسلامية، التي جعل منها الإسلام خير إنسان على ظهر الأرض. ومن هنا يجب أن يكون الأساس الذي تقوم عليه مناهج التربية والتعليم هو العقيدة الإسلامية، فتوضع مواد الدراسة، وطرق التدريس جميعها، على الوجه الذي لا يحدث أي خروج في

٥٤- سميح عاطف الزين: **الإسلام وثقافة الإنسان**، ص ٩٣—٩٨ (بتصرف)، محمد إسماعيل عبده: **الفكر الإسلامي**، ص ٧٠—٧٢ (بتصرف)، محمد حسين عبد الله: **مفاهيم إسلامية**، ص ٨٣-٩٠ (بتصرف)، تقي الدين النبهاني: **مقدمة دستور دولة الخلافة**، بيروت، ط ١، ١٩٥٤م، ص ٤١٤-٤١٦ (بتصرف).

٥٥- يقول الأستاذ محمد حسين عبدالله: ولتكوين الشخصية الإسلامية، لابد من الاستزادة من الثقافة الإسلامية، التي تجعل المسلم قادراً على أخذ الحكم الشرعي بنفسه من الأدلة، و تجعله قادراً على تكوين عقليات إسلامية بهذه الثقافة، ولتنمية النفسية الإسلامية، لابد من ربط الدوافع الغريزية بمفاهيم العقلية الإسلامية، ولابد من العيش في الأجواء الإيمانية.... وقد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم أعظم صانع للشخصيات الإسلامية الفذة، متبعا في ذلك الخطوات التالية: أولا: لفت الأنظار إلى التفكير بالمخلوقات الدالة على وجود الله تعالى. ثانيا: بيان ربط علاقة حياة الإنسان الدنيوية بما بعد الموت (الحياة الآخرة) كما في معظم السور المكية. ثالثا: تكليف المسلمين بمعالجة كافة مشاكل الحياة على أساس الإسلام، **مفاهيم إسلامية**، ص ١٠٥—١١٠.

التعليم عن هذا الأساس، لأن سياسة التعليم هي تكوين العقلية الإسلامية والنفسية الإسلامية، لأن الغاية من تزويد الناس بالمعارف والعلوم والثقافة والأفكار والمفاهيم، هي إيجاد الشخصية الإسلامية.

والخلاصة:

إنّ سياسة التعليم والتربية في الإسلام، كلها منصبة على هدف واحد هو تكوين الشخصية الإسلامية فكراً وسلوكاً، لحفظ المجتمع الإسلامي من زيغ العقائد وفساد الأفكار، وبناء أمة متماسكة متميزة حضارياً وفكرياً ومشاعريا، لتكون مؤهلة لتحقيق وصف بارئها عز وجل: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾(٥٦).

ويغلب على ظني أن هذا البحث الذي جعلته بعنوان: "تجديد الخطاب التربوي في التعليم الجامعي للمعارف الإسلامية ـ المدخل والمنهاج" قد جاء بأفكار جديدة عما هو مألوف مكرر في مناهج التعليم في جامعات الدول القائمة في العالم الاسلامي. وكانت انطلاقتي فكرية، حيث أتبنى ضرورة الانتفاع بأي ثقافة غربية، مع عدم التأثر بها، حفاظاً على هوية الشخصية الحضارية للأمة.

الخاتمة ونتائج البحث:

وهكذا يمضي قطار الفكر التربوي الإسلامي سائراً على سكة العقيدة نحو الهدف النهائي، الذي يصب في التوجه نحو نيل رضوان الله تعالى، مروراً بمحطات من المعلومات والأفكار والمفاهيم، التي تضبط الحركة والعمل والآثار والنتائج، لإيجاد الشخصية الإسلامية.

وقد مرّ بنا في صفحات هذا البحث كيف أننا فرقنا بين العلم والثقافة، والحضارة والمدينة، والنظام والتقدم العلمي، والطريقة والوسيلة.

وقد كان من أساس المنطلق: ضبط المصطلحات، وتحديد الأفكار، وتفعيل المفاهيم، بحيث يظل الإبقاء على الفكرة والطريقة ناصعة بيضاء نقية عميقة مستنيرة. تؤثر ولا تتأثر، تنفع وتنتفع، في محاكاة نادرة انطلاقاً من كون الإسلام هو المنقذ الوحيد للإنسانية من أوحال الضلال، في إيقاع عظيم لم تعرفه البشرية من قبل ومن بعد.

وجاء البحث: إضاءة فكرية لابد منها للخائضين في أوحال عولمة الرأسمالية، التي تقود الانحطاط الفكري العالمي المعاصر بعيداً عن هدي السماء. وبعرضنا لخطاب الفكر التربوي الإسلامي كنظرية ومنهاج، من خلال الفهم الصحيح للإسلام، برزت للقارئ عدة حقائق ومفاهيم من بينها:

٥٦- سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

- شمولية الإسلام لكل جوانب الحياة، من خلال تحكيم الكتاب والسنة، بالثوابت في مجال منظومة القيم، التي تبني الشخصية الإنسانية الحضارية.
- إن العقيدة الإسلامية وحدها هي الإيمان المتصالح مع الفطرة والتفكير العميق، لبناء سلوك النفس البشرية.
- إن سياسة التربية والتعليم التي رسمها أمير الأنبياء، لا تزال وحدها القادرة والمؤهلة، لإنقاذ الأمة من الهزيمة في معركة صراع الحضارات.
- إن ما ورد من نصوص الوحي في احترام العلم والتعلم، فيه البرهان على صحة جعل الإسلام للعلم من الحاجات الأساسية للجماعة.
- إن تعرض القرآن للأفكار والمعتقدات الفاسدة دليل جواز تعلم ما يتناقض مع العقيدة الإسلامية ولكن بانفتاح محكوم بضوابط للفهم الصحيح، من غير أخذ لها، ولا اعتقاد بها، وهو أمر مطلوب تربوياً.
- إن ما جاء به القرآن من معارف يشكل ثورة ثقافية لم تعرف البشرية لها مثيلاً.
- إن وضع برامج طرق التعلم والتعليم يجري عليه الخطأ والصواب، لكونه اجتهاداً عقلياً في تنزيل الفهم الإسلامي على وقائع مستجدة لخبرات بشرية في المعرفة.
- إن الثقافة الإسلامية هي المعارف التي تم بناؤها على العقيدة الإسلامية وهي :

أ – المعارف التي كانت العقيدة سبباً في بحثها، مثل: علم التوحيد.

ب– المعارف التي تم بناؤها على العقيدة، مثل: الفقه والتفسير.

ج– المعارف التي يقتضيها فهم ما ينبثق عن العقيدة، مثل: اللغة العربية.

- طرح السؤال التالي بقوة: هل المفاهيم التربوية الغربية هي من الثقافة الإسلامية؟ وهل كان طرح معرفة أسلمة علوم التربية إشباعاً للخطاب التربوي الإسلامي المعاصر؟
- إن كافة اتجاهات المعاصرين نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، لا تزال حائرة بين رافض وتابع ومهادن، فلا يصحّ لأي منهم ممارسة الإرهاب الفكري وادعاء احتكار الصواب.
- إن النزاهة في البحث، قادت إلى ضرورة التسليم بصواب بعض الأساليب التربوية في تقنيات التعليم لانطباقها على الواقع.
- وضوح تحديد الموقف من عملية الغزو الفكري في مجال التربية والتعليم، حيث برز:

أ – جناح الفكر والمفاهيم في التصور الكلي للكون والإنسان والحياة، المنبثق عن العقيدة العلمانية. وهذا الجناح لا يمكنه التعايش معنا، ولا يمكننا التعايش معه لإعلانه الحرب على العقيدة الإسلامية.

ب- جناح تطويع الأفكار العلمية، كالإحصاء التربوي، والقياس والتقويم، وصياغة الأسئلة السابرة، والتعليم عن بُعد. فهذا جناح تنتفع به الثقافة الإسلامية.

- لقد بات واضحاً أن العلوم من طب وهندسة وفيزياء عالمية لا دين ولا وطن لها.
- من فساد القول القياس الشمولي برفض كل ما أنتجته العقلية الغربية من علوم التربية.
- إننا لا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية القادمة إلينا من الحضارة الغربية، فذلك ما لا يدعو إليه عاقل يؤمن بنعمة التفكير القادر على الانتفاع وعدم التأثر.
- من الخطأ القاتل للهوية الحضارية لهذه الأمة، ترك التحصيل العلمي للفكر التربوي لمن لم يتزود بالفهم الصحيح للإسلام.
- إن طريقة الإسلام في الدرس هي الضمانة الحضارية لتكوين الشخصية الإسلامية.

وفي الختام : أرجو أن يكون هذا البحث، خطوة على طريق إعادة الثقة بقدرة علماء الأمة على التجديد فيما يبيحه شرع الله تعالى، إلى جانب التوجه نحو تعزيز مقدرة المعارف الإسلامية على الصمود في وجه الغزو الفكري، الذي لم تخمد أنفاسه بعد، فالصراع الفكري لا يزال في قلب معركة الصراع الحضاري بين الإسلام وأعدائه، وقعقعة السلاح لا تزال تحلق مع طائرات الأباتشي الأمريكية في سماء جنين ورفح والنجف والفلوجة، وقد مس أهلها البأساء والضراء وزلزلوا، وحناجر أطفالهم "صباح مساء وعلى مسمع وبصر جميع قادة جيوش المسلمين" تستصرخ نخوة المعتصم، وسيف الناصر صلاح الدين، وصرخة سيف الله المسلول: يا خيل الله اركبي، وأكف الضراعة من الشيوخ الركع نحو السماء ترنوا ولسان حالهم: اللهم نصرك الذي وعدتنا... يا ناصر المظلومين، أغثنا يالله، بانعقاد البيعة لأمير المؤمنين في دولة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وهو يقود جحافل الجيش الإسلامي براً وبحراً وجواً، حتى تكون كلمة الله هي العليا، ويومها يفرح المؤمنون بنصر الله... وإن ذلك لكائن بفتح قريب إن شاء الله.

وأخيراً: أسأل المولى عز وجل أن يجعل ما بذلته من جهد في هذا البحث في ميزان أعمالي، مع غلبة ظني أن ما تبنّيته من فكر إسلامي هو صواب يحتمل الخطأ، وما من عمل بشري إلا ويعتريه النقص والعجز والاحتياج، وذلك دلالة على أن الكون والإنسان والحياة مخلوقة للخالق الرحمن الرحيم، تبارك الله تعالى عمّا يصفون. والحمد لله رب العالمين.

* * * *